

في البوسنة والهرسك الذبح على الهويّة

د. محمد مورو



فِي البُوسْنَةَ والهَرْسَكَ

الذَّبْح عَلَى الهُويَّة

- محاولة لاستئصال الإسلام من أوربا
- الجريمة وأصابع الاتهام.

د. محمد مورو


الأزهر
الشريف
مكتبة المنارة الأزهرية

فهرس



مُقدِّمة

يخطئ من يتصور أن الصراع في البوسـنة والهرسـك مجرد صراع قـومي بسـيط بـين المسـلمين والكـروات والصرب، أو حتى صراع ديني بين المسـلمين والكاثوليـك "الكروات" والأرثوذكس "الصرب" أي مجرد صـراع دينـي محدود أو مذهبي أو طائفي عادي، ولكن الحقيقة أن الصراع في البوسنة والهرسك هو صراع حضاري يضرب بجـذوره في التاريخ والجغرافيا، ويمثل جدل الصراع التاريخي بـين الحق والباطل، الحق الذي يمثله الإسلام، والباطل الذي تمثله قوى الشيطان التي تعتبر الحضارة الغربية أهم عناصرها.

ويأخذ ذلك الصراع أبعادا حادة، داخل أوروبا ذاتها، ذلك أن الحضارة الأوروبية باعتبارها حضارة شيطانية تريـد أن تستأصل الحضارة الإسلامية وهي حضارة الحـق والعـدل والحرية، فما بالك إذا كان التحدث الحضاري الإسلامي يقـع في أوروبا ذاتها مثل حالة البوسـنة والهرسـك وكوسـوفو وألبانيا والأقليات الإسلامية عموما في أوروبـا الشـرقية.. ويمكننا أن ندرك مدى العصبية التي تتعامل بهـا الحضـارة الأوروبية مع المسلمين في أوروبا، وخاصة إذا كـانوا فـي

تجمعات ذات ثقل مثل البوسنة والهرسك، لأن هؤلاء، وبرغم منحنى الهبوط الإسلامي حاليا، يمثلون خميرة إسلامية تمـل القيم والإسلامية العظيمة مثل اللاعنصرية والعـدل وعـدم ازدواج المعايير والحق والحرية.. وهي قـيم قـادرة علـى هزيمة النموذج الحضاري الغربي إذا ما قدر لها أن تـدخل معه في معركة ثقافية حرة ونزيهة، وبالتـالي فلابـد مـن القضاء بالقوة والقهر والذبح والتشريد على هـؤلاء الـذين يحملون تلك القيم وخاصة من يسكن منهم في أوربا، وهـذه في حقيقة الأمر مأساة البوسنة والهرسك والتفسير الصـحيح لشلال الدم الذي يفجره الصرب على حساب المسلمين فـي البوسنة والهرسك، أي أن الصرب هنا مجرد أداة للحضـارة الغربية عموما.

وصحيح أن هناك تناقضات ثانوية بين قـوى الحضـارة الغربية عموما على اعتبار أن بأس الكافرين بيـنهم شـديد، ولكن هذه التناقضات الثانوية تتلاشى وتذوب أمام التنـاقض الجوهري بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية بين ما هو إلهي وما هو شيطاني ﴿ **يا أيها الذين آمنُوا لا تَتخِـذُوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض**﴾.

ولعل ما يؤكد هذه الحقيقـة أن إسـرائيل تقـدم الـدعم العسكري والإعلامي للصرب، في حين يقف الغرب متفرجا على المذابح وهو الذي يزعم أنه ينصر الأقليـات بـل هـو مستعد لجمع الجيوش وإلقاء أطنان القنابل في حالات أخرى، أما في حالة مسلمي البوسنة والهرسك الذين تعرضوا للإبادة والتشريد والذبح ووفقًا لتقسيم الأدوار، فإن الصرب يقومون بمهمة الذبح والإبادة، وإسرائيل تقـدم السـلاح، والغـرب وأمريكـا يكتفيـان بالبيانـات والقـرارات التـي لا تنفـذ أو بالحركات المسرحية مثل زيارة ميتران إلـى سـراييفو، أو قيام بطرس غالي "وهو أرثوذكسي مصري للأسف" بمنع أي تحرك دولي إيجابي بدعوى أن القاتل "الصرب" والقتيـل مسلمي البوسنة والهرسك مخطآن، وأن الوقت لم يحن بعـد للتدخل لإنقاذ شعب من الإبادة! وغيرها مـن التصـريحات الاستفزازية التي يقولها بطرس غالي من وقت لآخر.

وإذا كان هذا هو سلوك الغرب، وهذا هو حال التحـالف اليهودي الغربي ضد الإسلام، وهو الأمر الذي يكشف حقيقة العداء الغربي للإسلام، وحقيقة التحالف العنصري بين اليهود والغرب، وحقيقة ازدواج المعايير الغربية وانحطـاط القـيم

الحضارية للغرب، فهذا أمر بديهي ومتوقع، وعلى المسلمين أن يعملوا بأنفسهم لحماية أنفسهم وخوض معركـة التحـدي ورفع غبار التخاف والقيود والتمزق عن كـاهلهم وتحقيـق الوحدة والتضامن والتمسك بقيم الجهاد وهي الطريق الوحيد للحياة فضلاً عن تحقيق العزة والكرامـة والنصـر، وعلـى المسلمين أن يدافعوا عن إخوانهم في الـدين فـي البوسـنة والهرسك لأن هذا واجب شرعي أولاً، ولأنه جزء من الدفاع عن وجود الإسلام في العالم كله ثانيا، بل دفاع عن وجـود الحضارة الإسلامية ذاتها وعدم القضاء عليها نهائيـا وهـو الهدف التقليدي للغرب واليهود. إن الدعم الذي قدمه ويقدمـه المسلمون في كل مكان من العالم لإخوانهم في الـدين فـي جمهورية البوسنة والهرسك. وهو دعم شعبي في مجمله يدل على أن الإسلام ما زال حيا في الصدور، وأننا لا نزال أمـة واحدة ولو من الناحية الوجدانية: "إذا اشتكى منهـا عضـو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى"، وصحيح أن هذا الدعم ما زال قليلاً إلا أن الذي يحول بينه وبين التحول إلـى دعم كامل وشامل وجود بعض الحكومات المستبدة في العالم الإسلامي التي تمنع الشعوب أن تظهـر عواطفهـا الكاملـة

وتضع قيودا قانونية أو عملية على مسـألة التضـامن بـين الشعوب الإسلامية.

* * * *

وفي إطار ما يحدث في البوسنة والهرسك اليوم وما حدث للمسلمين في بلغاريا بالأمس القريب، فإن هناك أهمية خاصة لفهم ما حدث في الأندلس حتى لا تتكرر المأساة لأن الدوافع الأوروبية في الحالتين متشابهة، وكذلك هناك أهمية خاصـة لفهم فضل الدولة العثمانية على المسلمين وخوضها الصراع المرير في أوروبا دفاعا عن الإسلام.

* * * *

وإذا كان دفاع المسلمين عموما، والعرب والمصريون - بل وكل الشرفاء في العالم عن أهل البوسـنة والهرسـك - واجبا شرعيا وحضاريا بل ودفاعـا عـن الأمـن القـومي الإسلامي بل والعربي والمصري، لأن ما يحدث في البوسنة والهرسك هو جزء من التحدي الصليبي والغربي ضد الأمـة الإسلامية، وإذا نجح الغرب في استئصـال الإسـلام مـن أوروبا، فإن الدور سيأتي على بـاقي المسـلمين، وبالتـالي فالدفاع عن أهل البوسنة والهرسك هو دفـاع عـن الأمـن

القومي المصري والعربي والإسـلام عمومـا، وإذا كانـت جماهير الشـعب المصـري، والنقابـات، والأحـزاب بـل والحكومة المصرية قد اتخذت موقفًا جيدا في قضية البوسنة والهرسك مع اختلاف الدوافع، إلا أن هذا شيئًا طيبا ينبغـي الاعتراف به وتدعيمه وتوسيعه، ولكـن مـن العجيـب أن البعض في حزب العمل، وبرغم المواقف العظيمـة لحـزب العمل عموما، يقف موقفًا مترددا في هذا الأمر مثل اللـواء طلعت مسلم في مقاله بجريدة الشعب عـدد ٢١/ ٧/ ١٩٩٢ تحت عنوان "سلام البوسنة والأمن القومي المصري" وهـو المقال الذي جاء غير موفق ويشتمل على الكثير من المعاني الخاطئة، فاللواء طلعت مسلم يقول: إن الاهتمـام بالبوسـنة والهرسك لا يدخل في صميم الأمن القومي المصري جـزء من الأمن القومي العربي والإسلامي، أي جزء مـن عمليـة الصراع الحضاري بين الإسلام والصليبية، بـين الحضـارة الإسلامية والحضارة الغربية، وكل ما يمس الأمن القـومي الإسلامي يمس بالضرورة الأمن القومي المصـري بـل إن الدفاع عن البوسنة والهرسك هو في حقيقته حمايـة لمصـر والعرب والمسلمين، لأنه إذا نجح الغـرب فـي استئصـال

الإسلام من أوروبا فإن الدور يجيء علـى شـمال أفريقيـا وعندما انهزمت الخلافة العثمانية في أوروبا، كانـت نتيجـة ذلك تعرض شمال أفريقيا بل والدول العربية جميعهـا إلـى الاحتلال العسكري الأوروبي.

ثم إن الدفاع عن مسلمي البوسنة والهرسك واجب شرعي لأن المسلمين جسد واحد: "إذا اشتكى منه عضو تداعت لـه سائر الأعضاء بالسهر والحمى"، ولا أظن أن أحدا في حزب العمل، ولا أظن اللواء طلعت مسلم لا يؤمن بهذا الأمر، بـل أزعم أن هذا من أهم مبادئ حزب العمل. ويركـز اللـواء طلعت مسلم في نفس المقال، على أنه كان من الأولى علـى الحكومة المصرية أن تبـادر إلـى حمايـة أهـالي لبنـان، والأراضي المحتلة في فلسطين من القتل والتعذيب والسـجن ومصادرة الأراضي والممتلكات، ونحن مع اللـواء طلعـت مسلم في ذلك تماما، ولكن هل إذا قصرت الحكومة المصرية في مجال، ثم أخذت موقفًا لا بأس به في مجال آخـر نهيـل عليه التراب أيضا أم نستعيذ منه..؟ ثم إنه من المفروض أننا لا نعارض في سبيل المعارضة فقط. بـل نقـول للحكومـة المصرية في قضية فلسطين أخطأت، بل نقـول لهـا أنـت

عاجزة ونقول لها في موقفها من البوسـنة والهرسـك هـذا موقف صحيح لكنه أقل من المطلوب.

وفي إطار المواقف المصـرية، فـإن موقـف الكنيسـة المصرية، وهي جزء لا يتجزأ مـن الانتمـاء الحضـاري الإسلامي، بدا في أول الأمر غريبا وساكتًا بما يـوحي أنـه يبارك إبادة المسلمين في البوسنة والهرسك ثم تعـدل هـذا الموقف نتيجة وجود ضغط عام قوي، وأخيرا أصدر البابـا شنودة الثالث بطريرك الكنيسة المصرية بيانًا أدان فيه مذابح الصرب تجاه المسلمين وتبرأ من عمل الكنيسة الأرثوذكسية في يوغسلافيا، وبذلك أعاد الأمور إلى مجراهـا الطبيعـي ووقف الموقف الذي تمليه عليه انتماءاته الوطنيـة وتـراث كنيسته القبطية التي ترفض الاندماج في كنـائس الغـرب، وتعلن انتماءها إلى المشروع الحضاري الإسلامي.

إلا أن أغرب المواقف وأكثرها اسـتفزازا كـان موقـف الدكتور بطرس غالي، وهو مصري قبطي أساسا، وصـحيح أنه سكرتير عام الأمم المتحدة بما يفرضه عليه المنصب من شروط، إلا أنه خان شروط الأمم المتحدة ذاتها وبدا موقفـه أسوأ من مواقف مجلس الأمن والدول الكبرى بخصوص هذه

القضية، بل نراه يعطل عمل القوات الدولية في إغاثة أهـالي سراييفو، بل ويعلن مرارا وتكرارا أن على الأمـم المتحـدة ألا تتدخل في هذه القضية ولا يكترث بذبح ٦٠ ألف مواطن بوسني وتشريد مئات الآلاف وتدمير المسـاكن ومصـادرة ممتلكات المسلمين لصالح الصرب، بل أكثر من هذا يـدعي أن الجميع مخطئون في قضية البوسنة والهرسك بـرغم أن هناك رأي عام عالمي لم يستطع أن يبتلع جرائم الصرب في البوسنة والهرسك، أي أن بطرس غالي يساوي بـين القاتـل والقتيل، بين من يذبح ومن يذبح "الأولى بفتح الباء والثانيـة بضم الباء"، ووصل الأمر إلى حد الثورة على أعضاء مجلس الأمن إذا ما اتخذوا موقفًا ضد الصرب.

وقد نقلت الأهرام في عدد ٢١/ ٧/ ١٩٩٢ نصا في غاية الخطورة حول المواقف المشـينة لبطـرس غـالي. تقـول الأهرام: "ثار خلاف حاد ـ نادر الحدوث ـ بـين بطـرس غالي الأمين العام للأمم المتحدة من جانب، ومجلس الأمـن الدولي والمجموعة الأوربية من جانب آخر حول نصـوص وقف إطلاق النار الأخير في البوسنة والهرسك، فقـد وجـه بطرس غالي انتقادات حادة لمجلس الأمـن بسـبب إقـراره

النص الخاص بتسلم الفصائل المتناحرة في سراييفو الأسلحة الثقيلة إلى قوات الحماية الدولية المرابطة هناك، وشكا غالي في رسالة حادة إلى مجلس الأمن من أنه لم يؤخذ رأيه قبـل توقيع الاتفاق، مشيرا إلى أنه أبلغ لورد كـارينجتون وسـيط المجموعة الأوروبية بأن اقتراح تسليم الأسلحة للقوات الدولية غير واقعي، ورد كارينجتون قائلاً: إنـه لا يعتقـد أن هـذه المسألة كانت تستدعي التشاور مع غالي حيث كان الأمـين العام "بطرس غالي" قد تلقى طلبـا بالفعـل مـن الفصـائل المتناحرة بضرورة تنفيذ مثل هذا الاقتراح الخـاص بتسـليم الأسلحة، أي أن بطرس غالي لا يريد تسليم الأسلحة الثقيلـة ومن المعروف أن السلاح الثقيل بحـوزة الصـرب الـذين سيطروا على كل سلاح الجيش اليوغسلافي السابق، وكـأن بطرس غالي يريد أن تستمر تلك الأسلحة الثقيلة بيد الصرب ليبيدوا بها المسلمين. ومن الغريب هنا أن موقـف بطـرس غالي أسوأ من موقف أعضاء مجلس الأمن ومـن الـورد كارينجتون نفسه، وإذا كانت الدول الكبرى قد اتبعت أسلوب الإدانة للصرب ثم لا شيء وترك الصرب يبيدون المسلمين، أي مجرد قرارات حبر على ورق على سلوك مجلس الأمن

والدول الكبرى في أزمـات سـابقة تحركـت فيهـا آلاف الطائرات والصواريخ وقطع الأسطول، إلا أن مجرد الإدانة للصرب لا يعجب بطرس غالي وتجعله يثور علـى مجلـس الأمن، فهل يريد بطرس غالي أن يبارك ذبح المسلمين فـي البوسنة والهرسك؟!

* * * *

خطاب اللّه وخطاب الشيطان

﴿ ودَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾

(سورة النساء الآية ١٠٢).

* * * *

الإسلام، هو خطاب الله للبشر، كل البشر، أمس واليـوم وغدا، الأسود والأحمر والأبيض والأصفر، وهـو خطـاب التوحيد والحق والعدل والحرية والمساواة واللاعنصرية، أما خطاب الشيطان فهو كل ما يحول بين الإنسان وذلك، أي هو الاستبداد السياسي الذي يمنع الناس مـن حريـة الاعتقـاد والتفكير ويفرض على الناس رأي الحاكم والكهنة، خطـاب الشيطان هو الظلم الاقتصادي والاجتماعي الذي يجعل كـل الثروة في يد طبقة أو مجموعة من البشر على حساب جموع الناس، خطاب الشيطان هو الانحراف الأخلاقي والانحـلال، هو الظلم والقهر والعنف والنهب.

خطاب الله تعالى يمثله الإسلام والحضـارة الإسـلامية، وخطاب الشيطان تمثله أشياء وقوى كثيرة ومتنوعة أهمهـا قديما وحديثًا هي الحضارة الغربية، ولذا كان من الطبيعي أن يحدث صدام بين الحضارة الإسلامية، والحضارة الغربية.

الحضارة الإسلامية حضارة التوحيد، أما الحضارة الغربية فهي حضارة وثنية في كل مراحلها الإغريقية واليونانية والرومانية والمسيحية وحتى الحضارة الغربية الحديثة الرأسمالي منها، والاشتراكي والشيوعي والنازي والفاشي فهي تؤله الأوثان والأشخاص أو المادة أو الحزب أو الفكرة وهكذا.

الحضارة الإسلامية هي حضارة الحرية بل هي تكافل من أجل الحرية والجهاد الإسلامي في جوهره جهاد لتحرير كل البشر من الحكام الطغاة والأنظمة المستبدة والظلم الاجتماعي، ووضع الناس على طريق الاختيار الحر بلا إكراه من حاكم مستبد أو أجهزة قمعية متوحشة ﴿ **لاَ إِكْرَاه فِي الدين قَد تبين الرشْد مِن الْغَي**﴾... ﴿ **فَمن شَاء فَلْيؤْمِن ومن شَاء فَلْيكْفُر**﴾، أما الحضارة الغربية في كل مراحلها وروافدها الإغريقية واليونانية والرومانية والمسيحية، الرأسمالية والشيوعية والنازية والفاشية والاشتراكية فهي حضارة القهر والضعف وإرغام الناس على مبادئ مدنية وإلا قتلوا وصلبوا وحرقوا وسجنوا وشردوا.

الحضارة الإسلامية حضارة العـدل وإنصـاف الفقـراء والمظلومين والكادحين والمحرومين والمطحـونين "كـي لا تكون دولة بين الأغنياء"... "ليس منا من بات شبعانًا وجاره جائع"... "والجار هنا قد يكون فردا أو أسـرة أو مدينـة أو دولة أو قارة وهكذا..." إذا جاع الناس فـلا مـال لأحـد".. "لأخذت فضول أموال الأغنياء فردتها على الفقراء".

أما الحضارة الغربية فهي حضارة النهب، نهب الشعوب، ونهب الطبقات بعضها لبعض، حضارة المجاعـات ومـوت الأطفال.

الحضارة الإسلامية حضارة ذات مسئولية أخلاقية، فهـي أمينة على البيئة وعلى مستقبل الحياة البشرية على الأرض.. فلا إنتاج لأشياء ضارة تلوث البيئـة أو تـدمر الكائنـات أو تشكل خطرا على الأمان البيولوجي على الأرض، فكل شيء يخضع لتوجيهات وأهداف عليا تحرص على التوازن الفردي والجماعي، وتحرص على عدم الإفساد البيولوجي والبيئـي وتحرص على أن يكون هدفها سعادة الإنسان وليس مجـرد الربح والإنتاج بلا ضوابط أخلاقية أما الحضـارة الغربيـة، فهي تقوم على فكرة المنفعة اللاأخلاقية وبالتالي وفي سـبيل

هذه المنفعة يمكن أن تدمر وتقتل الإنسان والحيوان والغابات وتفسد البيئة وتلوث الأرض وتهدد مستقبل الوجود البشـري على الأرض ذاته.

الحضـارة الإسـلامية حضـارة المسـاواة والعـدل واللاعنصرية وعدم ازدواج المعايير، فهي حضارة شـارك في بنائها الأبيض والأسود والأحمر والأصفر، ولا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى، والأسود أخو الأبـيض.. "**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**"، وهي حضارة ذات معـايير واحـدة غير مزدوجة.. "**والله لو سرقت فاطمة بنت محمـد لقطـع محمد يدها**" والخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يأمر بضرب ابن عمرو ابن العاص أمير مصر بيد قبطي مصـري قصاصـا لضرب هذا القبطي المصري على يد ابن عمرو بن العـاص ويقول له: "اضربه كما ضربك.. اضرب ابن الأكرمين" والله تعالى يرشد المسلمين إلى ضرورة عـدم ازدواج المعـايير حتى مع الأعداء وحتى مع نكرههم ﴿ **لاَ يجرمنكُم شَنَآن قَومٍ علَى أَلا تَعدِلُوا اعدِلُوا هو أَقْرب لِلتقْوى**﴾.

أما الحضارة الغربية فهي حضارة التفرقـة العنصـرية والدينية، بل قامت في طورها الحديث على إبادة شعوب مثل

الهنود الحمر واسترقاق شعوب مثل الأفارقة ونهـب العـالم كله، وهي حضارة مزدوجة المعايير فهي تدعي الدفاع عـن حقوق الإنسان ثم تغمض عينها عن ممارسات إسرائيل تجاه الشعب الفلسطيني.

* * * *

وما دام الأمر كذلك فإنه من الطبيعي أن يحـدث صـدام وصراع حتميين بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، فالمسلمون مأمورون من الله تعالى بالجهاد من أجل تحريـر كل البشر وإزالة كافة أشكال الطغيـان والظلـم والاسـتبداد والقهر والحرمان والعنصرية وكلها قيم كانت ـ ولا تزال ـ سائدة في الحضارة الغربية، أي لابـد مـن الجهـاد ضـد الحضارة الغربية، والحضارة الغربية من ناحيتها وجدت أنه من الضروري ـ حفاظًا على مصالح حكامهـا واسـتمرارا لقيمها المنحطة واستمرارا لنهبها وقهرها للشعوب والطبقات ـ أن تحاول استئصال شأفة الحضارة الإسـلامية حيـث لا مستقبل للحضارة الغربية إلا بالقضاء على الإسلام والمسلمين والحضارة الإسلامية.

وقد بدأ هذا الصراع مبكرا جدا، واستمر في الزمان والمكان حتى يومنا هذا، ففي حياة الرسول (ﷺ) - أي منذ البداية - حدثت أربع مواجهات مع الروم وحلفائهم، مرة في دومة الجندل ومرة في مؤتة، ومرة في موطن قبائل قضاعة، ومرة في تبوك. وفي آخر حياة الرسول (ﷺ) تم تجهيز جيش أسامة بن زيد للذهاب إلى الشام، ولما مرض الرسول تعطل خروج هذا الجيش وكان من وصايا الرسول (ﷺ) في مرضه الأخير إنفاذ جيش أسامة، وقد وفى الخليفة الصديق رضي الله عنه بذلك رغم ظهور مشاكل الردة في الجزيرة العربية نفسها.

وفي عهد الخلفاء الراشدين استمر الصراع في الشام وشمال أفريقيا ضد الروم حتى تم فتح بلاد الشام ومصر وغيرهما، ثم في عهدي الخلافتين الأموية والعباسية استمر الصراع في الشام وشمال أفريقيا وفتح المسلمون الأندلس ووصلوا إلى فرنسا ذاتها وأوغلوا فيها إلى نهر الدون سنة ١١٤ هـ.

وعندما بدأ الضعف يسري في جسد الأمة الإسلامية، التقطت الحضارة الغربية الفرصة وبدأت ضغطها على العالم الإسلامي، ففي سنة ١٣٧ هت. وفي أثناء حكم الخليفة

العباسي الثاني أبو جعفر المنصور غزا قسـطنطين الرابـع بعض أراضي الشام واستولى على ملطية وضرب حصونها إلا أن المسلمين استعادوا تلك الأرض واستمر صمودهم بـل توسعوا على حساب الروم، ومع ازدياد تفكك العالم الإسلامي ظهرت الحملات الصليبية في الشرق ١٠٩٨ إلى ١٢٩٥ ثـم الضغط على المسلمين في الأندلس إلـى أن تمـت إبـادتهم وطردهم بدءا من عام ١٤٩٢، وقبل ذلك وأثناء ذلك وبعـد ذلك كان الصراع على أشـده بـين الحضـارة الإسـلامية والحضارة الغربية في المغرب العربـي حيـث تعرضـت الجزائر مثلاً إلى ١٠٠ حملة صليبية بعد سقوط الأنـدلس.. حملات إنجليزية وفرنسية وبرتغالية وأسبانية وهولندية بـل وأمريكية.

ومع ظهور الخلافة العثمانية، نجح المسلمون في التوحـد تحت قيادتها وخوض المعارك القاسية فـي أوروبـا ضـد الحضارة الغربية ونجحت الدولة العثمانية في جعل أوروبـا في حالة دفاع بل وحرر محمد الفـاتح القسـطنطينية ١٤٥٢ ووصلت جيوش العثمانيين إلى أسوار فيينا وروما.

ومع ضعف الدولة العثمانية استردت أوروبا الهجوم على العالم الإسلامي، ووصل الأمر إلى إنهاء الحكم العثماني في أجزاء كبيرة من أوروبا ثم الهجوم على العالم الإسلامي عموما في آسيا وأفريقيا، واحتلال الكثير من بلاده فيما عرف بالاستعمار الحديث، الذي بدأ بحملة بونابرت على مصر ١٧٩٨، ثم انتهى الأمر إلى إسقاط الخلافة العثمانية وتمزيق وحدة العالم الإسلامي وسقوط كل بلاده تقريبا في قبضة الاستعمار، ثم تسليم فلسطين لليهود ليقيموا فيها دولة إسرائيل عام ١٩٤٨.

* * * *

الصراع بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية في أوروبا

كان من الطبيعي أن يحدث صدام سريع وكبير بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، لأنه من الطبيعي أن يحدث صدام بين حضارة تمثل التوحيد والحرية والعدل والمساواة واللاعنصرية والمسئولية الأخلاقية وحضارة تمثل الوثنية والقهر والعنف والاستبداد والظلم والعنصرية والمنفعة اللاأخلاقية وهب الشعوب والطبقات. كان من الطبيعي أن يحدث الصدام لأن المسلمين مأمورون من الله تعالى بالجهاد في سبيل تحرير الناس من العنف والقهر والنهب والظلم والعنصرية، أي من نفس الممارسات والقيم التي تمثلها الحضارة الغربية، ولأن قادة الحضارة الغربية والمستفيدين من قمعها ونهبها وظلمها رأوا خطرا شديدا على مصالحهم من القيم الحضارية الإسلامية التي تغري الشعوب بالثورة على هؤلاء القادة والحكام والكهان الذين يقودون مسيرة الحضارة الغربية الظالمة.

وقع الصدام منذ حياة الرسول (ﷺ) واستمر في الزمان والمكان في آسيا وأفريقيا وأوروبا، ولكنه اتخذ أبعادا خاصة داخل أوروبا ذاتها، وكان المسلمون قد نجحوا في دخول الأندلس ووصلوا إلى جنوب فرنسا، كما نجح العثمانيون في الوصول إلى أسوار فيينا وجنوب روما، ودخل قطاع لا بأس به من أهل أوروبا أنفسهم في الإسلام مثل أهل ألبانيا وكوسوفو والبوسنة والهرسك وعدد آخر في بلغاريا ورومانيا وغيرهما، بحيث صار هؤلاء يمثلون أولاً قاعدة حضارية وأخلاقية إسلامية قادرة على تحدي النموذج الحضاري الغربي في عقر داره وتمثل أيضا مجالاً لجذب باقي الشعوب الأوروبية إلى الإسلام لأنه سيكون حيا بقيمه أمامهم من خلال الكتل السكانية المسلمة في أوروبا، وكان معنى هذا أن هناك خطرا ماحقًا على وجود الحضارة الغربية ذاتها وفي عقر دارها، ولذلك تميز رد الفعل الغربي الاستكباري تجاه المسلمين في أوروبا بالعصبية الشديدة والقمع والاضطهاد والإبادة والحصار بلا هوادة، وما حدث في الأندلس، وما حدث في بلغاريا وما يحدث اليوم في البوسنة والهرسك مجرد نماذج على ذلك السلوك حيث

يتعرض المسلمون للإبادة الجسـدية وللتصـفية الحضـارة والثقافية، فغير مسموح بوجود أسـماء إسـلامية أو ثقافـة إسلامية أو تعليم إسلامي، بل حتى غير مسموح بقبر إسلامي كما حدث في الأندلس.

وهناك نموذجان للصراع بين الإسلام الحضارة الغربيـة في أوربا وهما حالة الأندلس وحالة الدولة العثمانية.. ففـي الأندلس وحالة الدولة العثمانيـة.. ففـي الأنـدلس، دخـل المسلمون إليها سنة ٩٢ هـ ـ إلى ٩٥ هـ، ٧١١ م إلـى ٧١٤ م وحرروا أهلها من ظلم حكامها القوط، فدخل أهلهـا في الإسلام طواعية، وأخذت المساحات التابعـة للمسـلمين تزداد حتى وصلت إلى ٧٠٠ ألف كيلو متـر مربـع، بـل ووصل المسلمون إلى جنوب فرنسا وهددوا باريس ذاتها، ثم أخذ الضعف والتفكك يسري في أوصال المسلمين فتراجعـت المساحة التابعة للمسلمين في الأندلس ٤٤٠ ألف كيلو متـر مربع، بعد عام ٣٥٠ هـ، ٩٦١ م، وقام بابا روما بالـدعوة إلى قتال المسلمين وطردهم من الأندلس. وتحالفت كل القوى الصليبية لإخراج المسلمين من الأندلس، وبدأ الأمر بين كـر وفر، فإذا توحد المسلمون، وكان المغرب العربي قويا صمد

المسلمون وانتصروا مثل أيام المرابطين والموحـدين ومـع تفكك المسلمين في الأندلس وضعف المغرب العربي كانـت القوى الصليبية تحقق انتصارات على المسـلمين، واسـتمر الأمر على هذا المنوال حتى سقطت غرناطة بيد الصـليبيين سنة ١٤٩١ بعد حكم إسلامي للأندلس دام ثمانية قرون، وبعد سقوط غرناطة، استمر المسلمون فـي الأنـدلس يقـاومون وينظمون الثورات مدة قرنين من الزمان ثم نجح الصليبيون بواسطة عمليات القتل والمذابح ومحاكم التفتيش في القضـاء على عدد كبير من المسلمين ففر بعضهم إلى الغرب العربي وتعرض الباقون إلى الذبح أو القتل وكان الصليبيون يقتلـون كل مسلم، بل يقتلون النصارى إذا كانوا من أصل إسـلامي، بمعنى أنه إذا تنصر أحد المسلمين فإن هـذا لا يحـول دون قتله، ووصل الأمر إلى حد عدم ترك حتى قبر واحد لمسـلم في بلاد الأندلس.

أما الصراع مع الحضارة الغربيـة مـن خـلال الدولـة العثمانية فقد استمر لفترة طويلة، بـل يمكننـا أن نقـول أن الدولة العثمانية أدخلت الإسلام إلى قلب أوروبا، ونجحت في إنقاذ العالم الإسلامي في ذلك الوقت من مصير مظلم كانـت

أوروبا تعد له، بل قلب الكفـة لصـالح الإسـلام فحـررت القسطنطينية ١٤٥٣ م، ووصلت إلى أسوار رومـا وفيينـا وأدخلت أهالي ألبانيا وكوسوفو والبوسنة والهرسك وعددا لا بأس به في رومانيا وبلغاريا وغيرهما في الإسلام، بـل إن التآمر الواسع الذي تعرضت له الدولة العثمانية على يد دول أوروبا كان بسبب بلاء الدولة العثمانية العظيم لخدمة الإسلام والدفاع عن المسلمين بل وتهديد أوروبا ذاتها فـي القلـب، ولعل الحقد الكبير والكراهية التي تحظى بها الدولة العثمانية لدى العلمانيين في بلادنا وهـم عمـلاء لأوروبـا ولقيمهـا الحضارية يرجع إلى هذا السبب. ولعل بدايات الصـدام [1] بين الدولة العثمانية وأوروبا كان عام ١٤٣٥ عنـدما عبـر العثمانيون مضيق البوسفور واستولوا علـى شـبه جزيـرة غاليبولي، ثم تعدوا أوروبا ففتحوا مدينة أدرنة عام ١٣٥١ م بقيادة مراد بن أردخان وجعلوها عاصمة للدولة الإسـلامية الفتية في أوروبا، وعقب ذلك، دعا البابا إلى حروب صليبية اشتركت فيها دول البلقان ونصارى الغرب فانتصر علـيهم

(١) نقلاً عن كيف دخل الإسلام البلقان ـ رسالة المهنـدس ـ عـدد خاص.

مراد الأول وفتح صوفيا ونيس ومقدونيا وسالونيك، ثم عاود الصليبيون الكرة فتصدى لهم "با يزيد" الذي خلف مراد الأول وهزمهم وأسر ملك الصرب، وضم صـربيا إلـى الدولـة العثمانية بما فيها مدينة بلجراد، عاصمة صربيا حاليا، سـنة ١٤٥٢، وحاول سيجموند ملك المجر بجيش مـن الفرسـان الذين تطوعوا من أوروبا الغربية ودول البلقان لكن با يزيـد هزمهم وطاردهم حتى النمسا وحاصر فيينـا، وفـي سـنة ١٤٥٣ م قام السلطان محمد الفاتح بفتح القسطنطينية وأنهـى بذلك وإلى الأبد الإمبراطورية البيزنطيـة، التـي ناصـبت المسلمين العداء لمدة طويلة ومستمرة "حوالي ثمانية قـرون" وأصبحت إسلامبول أو مدينة الإسلام أو دار الإسلام، الاسم الجديد للقسطنطينية عاصمة للدولة الإسلامية العثمانية منـذ فتحها وحتى ١٣ أكتوبر ١٩٢٣ عنـدما سـقطت الخلافـة العثمانية على يد الخائن أتاتورك، فحول عاصمة تركيا إلـى أنقرة بدلاً من إسلامبول، وواصل محمد الفاتح جهاده فهـزم صربيا وضمها إلى الدولة الإسلامية وواجه حلفًا من البندقية والألبان فدمرهم وضم ألبانيا للدولة العثمانيـة عـام ١٤٦٨، وتوغل في البلاد التابعة للبندقية على ساحل بحر الأدرياتيك

واستولى على مدينة "تارنتو" الإيطالية عـام ١٤٨٠ بعـد أن سيطر على المضايق التي تفصل إيطاليا عن البلقـان وهـدد روما عاصمة إيطاليا نفسها، وأصبح المسلمون سادة البحـر المتوسط والأدرياتيك ومضايقهما، ثـم توالـت الفتوحـات الإسلامية العثمانية فتم فتح الهرسك عام ١٤٨١ ثـم معظـم كرواتيا ثم وصل العثمانيون إلى سلوفينيا ولكنهم لم يفتحوها، ثم ضعفت الدولة العثمانية بعد ذلك ففقدوا كرواتيـا أوائـل القرن السابع عشر ثم الجبل الأسـود سـنة ١٦٩٧ م، ثـم استعادها العثمانيون سنة ١٧٣٨ م، ثم تخلى العثمانيون عـن بلاد البوسنة والهرسك وكذلك ألبانيا والجبل الأسود وكوسوفو سنة ١٩١٢ وهكذا استمر الحكم العثمـاني ٤٠ سـنة فـي كرواتيا و ٣٨٠ سنة فـي صـربيا، و ٤١٥ فـي البوسـنة والهرسك و ٤٢٠ في الجبل الأسود و ٤٣٠ في كوسـوفو، و٥٤٧ سنة في مقدونيا، مما ترتب عليه دخول عدد كبير من أبناء هذه البلدان في الإسـلام وخاصـة ألبانيـا وكوسـوفو والبوسنة والهرسك فضلاً عن أقليات إسلامية فـي صـربيا وكرواتيا ومقدونيا والجبل الأسود، بالإضـافة إلـى أقليـات إسلامية في رومانيا وبلغاريا وغيرهما.

وعلينا أن نلاحظ في تجربتي الأندلس والدولة العثمانيـة، أنه بعد ضياع الأندلس، حاول الصليبيون احـتلال المغـرب العربي، وسجلت الحوادث أكثر مـن ١٠٠ محاولـة لغـزو الجزائر بعد سقوط الأندلس وحتى عام ١٨٣٠ وهذا يؤكد أن الدفاع عن الإسلام في أوروبا هو حماية في حد ذاته للإسلام في شمال أفريقيا، كما أنه مع ضعف الدولة العثمانيـة فـإن الأهداف الأوروبية لم تقتصر على القضاء على الإسلام فـي أوروبا بل اتجهت الأطماع الأوروبية نحو الـبلاد العربيـة والإسلامية، وكانت النتيجة سقوط الكثير من الدول العربيـة والإسلامية تحت سيطرة الاستعمار، بل وضاعت فلسـطين، أي أن الدفاع عن الإسلام في أوروبا يدخل في صميم الأمن القومي العربي والإسلامي.

* * * *

الأقليات عندنا وعندهم

اضطهاد الأقليات، بل الأغلبيات سلوك تقليدي في مسيرة الحضارة الأوروبية، فلم ينج أحد من اضطهاد الحضارة الأوروبية، مثل إبادة الهنود الحمر في أمريكا، وكذلك أهل استراليا الأصليين، واسترقاق الأفارقة، واضطهاد ونهب شعب الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي وشعب ليبيا إبان الاحتلال الإيطالي، وتشريد الشعب الفلسطيني وذبحه وقمعه على يد اليهود بالتحالف مع الغرب، والأمر نفسه في إبادة المسلمين في الأندلس بحيث لم يبق حتى قبر واحد لمسلم، وما يتعرض له المسلمون في بلغاريا ورومانيا من تدمير للثقافة والهوية والطرد، وأخيرا وليس آخرا ما يتعرض له شعب البوسنة والهرسك، وهذه ليست هي المرة الأولى التي يتعرض لها مسلمو البوسنة والهرسك لحرب الإبادة والتشريد.

أما في إطار الحضارة الإسلامية، فلنستمع إلى هذه الشهادة والتي جاءت في كتاب حاضر العالم الإسلامي،

للأمير شكيب أرسلان تحت عنـوان "التعصـب الأوروبـي أو التعصب الإسلامي"، يروي الأمير شكيب أرسلان أن أحد الوزراء العثمانيين كان مرة في أحد المجالس في جدال مـع بعض رجال الدولة فـي أوروبـا فيمـا يتعلـق بموضـوع التعصب، فقال لهم الوزير العثماني: إننا نحن المسلمين مـن ترك وعرب وغيرهم، مهما بلغ بنا التعصب في الدين فـلا يصل بنا إلى درجة استئصال شأفة أعدائنا، ولو كنا قـادرين على استئصالهم، ولقد مرت بنا قرون وأدوار كنا قادرين فيها على أن لا نُبقِي بين أظهرنا إلا مـن أقـر بالشـهادتين وأن نجعل بلادننا كلها صافية للإسلام، فما هجس فـي ضـمائرنا خاطر كهذا الخاطر أصلاً، وكان إذا خطر هذا ببال أحد من ملوكنا، كما وقع للسلطان سليم الأول العماني تقوم في وجهة الملة، ويحاجه مثل زنبيلي على أفندي شيخ الإسلام ويقول له بلا محاباة: ليس لك على النصارى واليهود إلا الجزية وليس لك أن تزعجهم عن أوطانهم، فيرجع السلطان عـن عزمـه امتثالاً للشرع الحنيف، فبقي بين أظهرنا حتى أبعـد القـرى وأصغرها نصارى ويهود وصائبة وسامرة ومجوس، وكلهم كانوا وافرين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، أما

أنتم معاشر الأوروبيين فلم تطيقوا أن يبقى بين أظهركم مسلم واحد واشترطتم عليه إذا بقي بينكم أن يتنصر، ولقد كان في أسبانيا ملايين وملايين من المسلمين، وكان في جنوبي فرنسا وفي شمال إيطاليا وفي جنوبها مئات الألوف منهم، ولبثوا في هاتيك الأوطان أعصرا مديدة، وما زلتم تستأصلوا منهم حتى لم يبق في هذه البلدان شخص واحد يدين بالإسـلام، ولقـد طفت بلاد أسبانيا كلها فلم أعثر فيها على قبر واحد يعـرف أنه قبر مسلم".

* * * *

حتى لا تتكرر مأساة الأندلس

فتحت البوسنة والهرسك على يد الخليفة المسلم محمد الفاتح، في إطار فتوحات الدولة العثمانية في أوروبا عموما ودول البلقان خصوصا.

وكان فتح البوسنة والهرسك سنة ١٤٨١، وقد دخل أهلها الإسلام، وتمسكوا به، وأصبح المسلمون في البوسنة والهرسك يمثلون اليوم ٥٥ % من السكان بالإضافة إلى ٣٤ % من الصرب، ١١ % من الكروات، كما يوجد عدد من المسلمين في صربيا وكرواتيا وغيرهما من بلاد البلقان. ومع ضعف الدولة العثمانية وتضاؤل نفوذها في أوروبا، وتخليها عن الكثير من المناطق المفتوحة، كان من الطبيعي أن تتعرض البوسنة والهرسك لمحاولات مستمرة لإبادة المسلمين فيها والقضاء على الثقافة الإسلامية فيها وفي غيرها من البلاد الأوروبية وتقع جمهورية البوسنة والهرسك في

منتصف يوغسلافيا سابقًا فيحدها من الشمال والغرب كرواتيا ومن الشرق صربيا ومن الجنوب الجبل الأسود.

وكانت جمهورية البوسـنة والهرسـك ضـمن الاتحـاد اليوغسلافي الذي كان يضم صـربيا، كرواتيـا، سـلوفينيا، مقدونيا، الجبل الأسود، البوسنة والهرسك.

في أعقاب الحرب العالمية الأولى قـام الصـرب بعمـل مذابح جماعية لمسلمي البوسنة والهرسك، وقـاموا بحـرق ٢٧٠ قرية مسلمة وقتل عدة آلاف من المسلمين نساء وأطفالاً وشيوخًا، الأمر الذي أدى إلى هروب ٣٠٠ ألف مسلم مـن البوسنة وتشريدهم.

في عام ١٩٤١ قام الصرب بذبح ٦٠ ألف مسلم وألقـوا بهم في نهر الفولجا وتحولت مياه النهر إلى دماء.

عقب الحرب العالمية الثانية قامت حرب بـين الصـرب والكروات دفع المسلمون ثمنها إذ انتهـت بتقسـيم البوسـنة والهرسك فيما بينهما.

* * * *

المذبحة الأخيرة:

منذ عدة أشهر تدور مذبحـة كاملـة لأهـالي البوسـنة والهرسك عقب انفـراط عقـد الاتحـاد اليوغسـلافي بعـد التحولات الأخيرة في أوروبا الشرقية، أعلنت العديد من دول ذلك الاتحاد استقلالها عن الاتحاد، مثل كرواتيا وسـلوفينيا، ووجدت هاتان الدولتان من يحميهما من اعتداءات الصـرب حيث أنهما من الكاثوليك، فتحرك البابا في روما وتحركـت أوروبا، أما عندما أعلنت البوسنة والهرسك اسـتقلالها عـن الاتحاد اليوغسلافي فإن شلالات الدم المسلم قد تفجرت على يد الصرب الأرثوذكس الذين يريدون إقامة صربيا الكبـرى على حساب المسلمين أساسا، على حساب اقتطاع ٦٠ % من أرضهم وتشريدهم وتدمير ملامح حضـارتهم مـن مسـاجد ومدارس، وإذا كان تيتو [١] رئيس يوغسـلافيا السـابق قـد مارس الاضطهاد ضد المسلمين، لأنه لا أحد يحميهم، فـإن قادة صربيا الآن يتابعون المخطط بكثافة وقسـوة، ويسـتند

---

(١) كانت السلطات اليوغسلافية تطارد المسلمين النشطين مثل علـي عزت بيكوفتش رئيس جمهورية البوسنة والهرسـك حاليـا فلقـد أمضى في السجن مدة ١٥ سنة في عهد تيتو.

الصرب على تراث طويل من العداء للمسلمين، ففي المدارس الصربية الابتدائية ملحمة شعرية باسم "إكليل الجبـل" كتبهـا مسيحي أرثوذكسي صربي متعصب تقول "سلك المسـلمون طريق الشيطان، دنسـوا الأرض، ملأوهـا رجسـا، فلتعـد للأرض خصوبتها ولنطهرها من تلك الأوساخ. ولنبصق على القرآن، وليطير رأس كل من يؤمن بـدين الكـلاب ويتبـع محمدا، فليذهب غير مأسوف عليه "ويستند الصـرب أيضـا على فتاوى كنيسة تبيح قتـل المسـلمين وهتـك عـرض المسلمين، وهذه هي المسيحية الأوربية المتعصبة، فالكنيسـة الأرثوذكسية الصربية أصدرت فتوى تبيح نسـاء المسـلمين للأرثوذكس المسيحيين الصرب، بل إنه عندما تقع المسلمات في الأسر يتم هتك عرضهن مع إرسال بعضهن إلى مناطق المسلمين، مقطوعات الأثداء، عليهن آثارا الاعتداء الوحشي.

وحين يفعل الصرب الأرثوذكس ذلـك، فـإن المسـلمين يتصرفون وفقًا لسماحة الإسلام، ففي قرية جورنيـه توليبـه مثلاً، وهي قرية مسلمة، وعندما لجأ إليها بعـض الصـرب الأرثوذكس هربا من المعارك حول مدينة بوسنسكي بـرود، حيث نجحت قوات الدفاع الإسلامي فيها فـي رد الاعتـداء

الصربي، لجأ سكانها الصرب إلى قرية "توليين" التي أحسنت استقبالهم وأمنتهم على أنفسهم وأطعمتهم وألبستهم، اعتقـادا من أهل تلك القرية المسلمة بأنهم لا ذنب لهم فـي العـدوان الصربي على المسلمين، فما كان من هؤلاء اللاجئـين مـن الأرثوذكس إلى المسلمين، إلا أن شاركوا هم أنفسـهم فـي المذبحة التي وقعت فيما بعد عندما دخل الجيش الصربي تلك القرية وكان أول بيت يذبحون أصحابه هـو البيـت الـذي استضافهم وتناولا فيه الطعام وارتدوا الملابس، وهـذا هـو الفرق بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب الصليبي.

* * * *

ورث الجيش الصربي، كل السلاح الثقيل التابع للجـيش اليوغسلافي السابق، وهذا الجيش اليوغسلافي السابق كـان من أقوى الجيوش وأكثرها عتادا وسلاحا فاستخدم الصـرب هذا السلاح في قتل المسـلمين وتقطيـع أوصـال البوسـنة والهرسك، فبلغ عدد القتلى حتى نهاية شهر يوليـو ١٩٩٢، ٦٠ ألف قتيل و ١٠٠ ألف جريح، و ٤٠ ألف معوق، و ١,٥ مليون لاجئ، وقد سجل صحفيون محايدون ووكالات أنبـاء شرقي وغربية كيف قام الصرب بعمل المـذابح المروعـة

وهدم البنية الأساسية لجمهورية البوسنة والهرسك، وتدمير المساجد والآثار الإسلامية، ووصل الأمر إلى حد سير الدبابات الصربية فوق المسلمين من أهل البوسنة وهم أحياء، وبقر بطون النساء الحوامل، بل واستخدام أجساد أطفال المسلمين في صنع الأعلاف، ويستهدف الصرب من وراء ذلك كله إلى تكسيح جمهورية البوسنة والهرسك واقتطاع أجزاء كبيرة منها وخلخلة التفوق السكاني الإسلامي في الجمهورية، والقضاء على الثقافة والآثار الإسلامية فيها، وهذا كله بموافقة وصمت المجتمع الدولي! الذي يدعي أنه يحمي الأقليات ويرفض تدمير الهوية الثقافية لأي مجموعة سكانية في أي مكان من العالم!

* * * *

ولكن أين جيش المسلمين في البوسنة والهرسك من كل ذلك ولماذا لا يستطيع الصمود؟ وفي الحقيقة فإن القوات المسلحة في البوسنة والهرسك بلا إمكانيات تقريبا، ذلك أن كل السلاح الذي كان مملوكًا للجيش اليوغسلافي السابق وقع كله في يد الصرب، وهو جيش كان يعد الرابع في العالم، أي أن هناك جيشًا صربيا قويا في مواجهة جمهورية البوسنة

والهرسك الوحيدة التي بلا جيش قوي بـل جـيش حـديث التكوين يتكون من ١٥ ألفًا مـن المقـاتلين المتطـوعين لا يملكون سوى ١٩ دبابة فقط، وبالتالي فإن هناك خللاً كبيـرا في ميزان القوى لصالح الصرب، والأمر أشبه بجيش قـوي يقاتل أناسا عزل من السلاح، ومع ذلك، ورغم ذلـك، فـإن مقاتلي البوسنة والهرسك يبلون بلاء حسنًا بـل ويحصـلون على سلاحهم وذخيرتهم من الغنائم من خلال المعارك التـي يخوضونها ضد القوات الصربية، ومن العجيب أنـه رغـم الحاجة الماسة للسلاح التي تبديها قوات البوسنة فإن العـرب والمسلمين لا يعطونهم شيئًا اللهم إلا بعض المعونـات مـن الغذاء والملابس، وهم يحتاجون أساسا إلى السلاح للدفاع عن أنفسهم.

* * * *

أبعاد المؤامرة:

لكل أهدافه في صراع البوسنة والهرسـك، فالمسـلمون يريدون الحفاظ على جمهوريتهم الوليدة، والدفاع عن حدودها الشرعية أما الصرب، فهم يريدون إقامة جمهورية صـربيا الكبرى على حساب أراضي المسلمين في البوسنة والهرسك،

أما الكروات فقد وقعوا اتفاقًا غير مكتوب مع الصـرب يـتم بمقتضاه اقتسام أراضي البوسـنة الهرسـك بـين الصـرب والكروات على حساب المسلمين، يقول مستشـار الرئاسـة البوسنية خير الدين سمون في تصريح له بجريـدة "الحيـاة" عدد ١٧/ ٧/ ١٩٩٢: "كل شيء ممكن هذه الأيام بين دولتي الصرب وكرواتيا ضد البوسنة، فـنحن نعلـم أن الرئيسـين الصربي سلوبودان ميلوسيفتيش والرواتي فرانيو تودجمـان اجتمعا قبل عام ونصف العام في منطقـة كـارجور جوفـا الحدودية بين الصرب والكروات وحصل بينهما اتفاق غيـر مكتوب لتقاسم المصالح" ويضيف مستشار الرئاسة البوسنية: "نحن نعلم أيضا أن العناصر الكرواتية المتطرفة في البوسنة والهرسك تعمل ضد مصالح البوسنة، ولا يسـتغرب وجـود أطراف دولية أوروبية ضالعة في هذه المؤامرة التي تعـود جذورها إلى بداية القرن الحالي".

إذن فالمؤامرة قديمة جديدة وتستهدف منـع قيـام كيـان إسلامي في أوروبا، ولأن المخطط واضح لكل من له عينين فإن كاتبا مثل الأستاذ سلامة أحمد سلامة، وهو ممن لا يمكن اتهامهم بالتطرف الإسلامي مثلاً كتب في أهـرام (١٦/ ٧/

١٩٩٢) يقول: "منذ عدة أسابيع ينشغل مجلس الأمن، والأمم المتحدة وأمينها العام، والدول الخمس الكبرى بمشكلة البحث عن أوراق ومستندات في أحد الأدراج بأحد المكاتـب فـي وزارة الزراعة العراقية، حول تسليح العراق، ويحدث هـذا بينما تجري تفاصيل المأساة الإنسانية والسياسـية والدوليـة على أرض جمهورية البوسنة والهرسك، تحت سـتار مـن الصمت والتواطؤ الذي تشارك فيه أوروبا وأمريكا، لتحويـل الصراع الدامي الذي يجري بشراسة غير مسبوقة من مشكلة اقتسام وتقطيع أوصال دولة مستقلة إلى مجرد شكل للإغاثة، ومن الواضح أن أوروبا وأمريكا لا تريدان أن تتـدخلا فـي الوقت الحاضر، أو أن يتخذ مجلس الأمن قـرارات تتعلـق بطبيعة الأزمة من جوانبها السياسـية، إلا بعـد أن تكـون الجيوش الصربية قد ثبتت أقدامها وانتهت من تهجير وتفريغ المناطق المسلمة التي تنوي ضمها إلى جمهوريـة الصـرب الجديدة وبعد أن تكون منطقة الأقلية الكرواتية في البوسنة قد اندمجت نهائيا في كرواتيا المستقلة ونشأ أمر واقـع جديـد، والذي يجري حاليا هو مهزلة دولية بكل المقاييس مـا كـان ينبغي أن نشارك فيها لأن مهمة قوات الأمم المتحدة هناك لا

تزيد على تأمين وصول الإغاثة إلى المحاصرين، وأما السفن الحربية التابعة لأمريكـا ولـدول غـرب أوروبـا وحلـف الأطلنطي فإنها لا تفعل شيئًا أكثر من مراقبة الشواطئ دون أن يكون لها حق منع السفن من إنزال شحناتها.

* * * *

إذن فالمؤامرة قديمة وجديدة، بدأت مع ضـعف الدولـة العثمانية وتكررت مع انهيار يوغسلافيا والهدف هو القضاء على الوجود الإسلامي، وأطراف المؤامرة هم الصرب الذين يمثلون الأداة، والكروات باتفاقهم مع الصرب علـى تقسـيم البوسنة بينهما، وإسرائيل التي تسلح الصرب، والغرب الذي يسكت على المذبحة بانتظار القضاء على الوجود الإسـلامي في البوسنة والهرسك.

يقول أيوب جانيتش نائـب رئـيس جمهوريـة البوسـنة والهرسك في تصريح خاص للأهرام عـدد ١٨/ ٧/ ١٩٩٢: "إن التحركات العسكرية الأوروبية والأمريكية حول الصرب وما يحدث في مطـار سـراييفو هـي عمليـة مـن قبيـل الاستعراض الدولي فقط، وقال: إن المعونات التـي تصـل

سراييفو المحاصرة لا تزيـد علـى ٥ % مـن احتياجـات المدينة".

وفي تصريح استفزازي للورد كارينجتون نشرته صحيفة الأهرام في عدد ٢٥/٠ ٧/ ١٩٩٢) قال: "إنه من الضروري ترك أطراف الأزمة حتى ينهكهم القتال" أي ترك الصـرب يذبحون المسلمين ويقطعون أوصـال جمهوريـة البوسـنة والهرسك.

ويصف الأستاذ نبيل شبيب - في تحليل إخباري لصحيفة "المسلمون" عدد ٢٤ يوليو ١٩٩٢ - إن الوضع عبارة عـن مسألة مستمرة، وتمثيلية دولية مسـتمرة أيضـا، وقـال: إن الولايات المتحدة الأمريكية، وفرنسا المتنافسـتان فـي كـل المجالات متفقتان في مجال البوسنة والهرسك وذلـك أنهمـا يريا ألا يتضمن أي قرار لمجلس الأمن على التلويح بالتدخل العسكري المباشر أو غير المباشر، ويرى الأستاذ نبيل شبيب أن المقاطعة الدولية البحريـة لا قيمـة لهـا لأن الصـرب يحصلون على ما يريدون من خلال الحـدود البريـة مـع رومانيا وروسيا واليونان ، وأن قرارات تحريك الأسـاطيل مظاهرة سياسية استعراضية فقط!.

ويصل الأمر إلى حد المأساة عندما تغلق الدول - مثل إيطاليا وألمانيا والنمسا والمجر وغيرها - حدودها في وجه اللاجئين، أي تسليمهم عمليا للذبح وتسليم أولادهم إلى المؤسسات الكنسية التي نشطت لالتقاط الأطفال الذين لن يعرفوا أنهم من أصل إسلامي عندما يكبرون حيث سوف يتربون في جو كنسي مسيحي يحولهم رغم أنفهم إلى مسيحيين!!

والرئيس الأمريكي "بوش" يصرح قائلاً، بأنه لم يتخذ قرارا بإعادة انتشار القوات البحرية الأمريكية وأن السفينتين التابعتين للأسطول السادس الأمريكي اللتين أرسلتا إلى الأدرياتيكي تشكلان جزءا من فريقين بحريين في المتوسط يبحران من وقت لآخر إلى الأدرياتيكي".

أي رسالة إلى الصرب، لا تنزعجوا من التحركات البحرية الأمريكية، فما هي إلى مسرحية، واستمروا في ذبح المسلمين وتقطيع أوصال البوسنة والهرسك، والرسالة نفسها قالها ميتران - الذي زار سراييفو - فقد ذكر الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران في مؤتمر صحفي في ختام قمة مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا: "ليس في ذهن فرنسا

إرسال قوات من أجل القتال في الميـدان، لكنهـا مسـتعدة لإرسال قوات لحماية المساعدات الإنسانية" وقال: "إن أحدا لم يطلب من فرنسا إرسال قوات مقاتلة، ولو طلب منا ذلك لقلنا أن هناك وسائل أخرى تبدو لنا أفضل".

* * * *

ليست البوسنة وحدها:

ليست البوسنة والهرسك وحدها المقصودة، ولكنه الإسلام في أوروبا كلها وفي المناطق ذات الكثافـة الإسـلامية فـي البلقان خصوصا، والمسلمون في البلقان من أصل أوروبـي، وليسوا أتراكًا كما يدعى الإعلام الغربي، بـل هـم سـكان أصليون في المنطقة اختاروا الإسلام دينًا لهم منذ عدة قرون. وإذا كان المسلمون في الأندلس، من كان منهم مـن أصـل عربي أو من أصل أندلسي قد تمت إبادتهم وطـردهم فـإن الأمر يتكرر اليوم في البلقان، والإسلام موجـود فـي كـل مناطق البلقان في ألبانيا وكوسـوفو والبوسـنة والهرسـك، وكذلك في صربيا وكرواتيا وسـلوفينيا ومقـدونيا والجبـل الأسود بل وفي المجر ورومانيا وبلغاريا، وهنـاك تـداخل عرقي وديني شديدين في هذه المناطق، فالمسلمون يشـكلون

٨٠ % في ألبانيا، و٥٤ % في البوسنة والهرسك، و٩٣ % في كوسوفو و ٤٠ % في مقدونيا، وهناك ٢٠ ألف مسلم في سلوفينيا، وهناك ربع مليون مسلم بين صربيا والجبل الأسود، والمسلمون عموما في يوغسلافيا الاتحادية سابقًا يبلغـون ٦ ملايين مسلم.

وآخر فصول مخطط الإبادة، القديم الجديـد، هـو إلغـاء الهوية الثقافة للمسلمين في بلغاريا، وهو ترك مسلمي ألبانيـا فريسة للفقر والجهل مما يجعلهم عرضة للنشاط التبشـيري الذي يعمل الآن على قدم وساق في ألبانيا، وكـذلك عمليـة الإبادة السكانية والثقافية التي يتعرض لهـا المسـلمون فـي البوسنة والهرسك، ويمكن أن نتوقع في غضون شهور قليلة أن يتكرر ما يحدث الآن في البوسنة والهرسك، في جمهورية كوسوفو وهي جمهورية إسلامية يبلغ عدد سكانها ٢ مليـون نسمة وتقع بمحاذاة الحدود مع ألبانيـا غربـا، وجمهوريـة مقدونيا في الشمال الغربي، ويبلغ عدد المسلمين فيها حوالي ٩٣ % وكانت هذه الجمهورية تابعة للاتحاد اليوغسـلافي، ولكنها أعلنت استقلالها حديثًا بعد إجراء استفتاء على ذلـك، ومعظم أصلها من أصل ألباني، وكانت كوسـوفو مسـرحا

لصراع طويل بين المسلمين والصرب منذ عدة قرون، حيث دارت في الإقليم المعركة الشهيرة بين الصرب والمسلمين في سنة ١٣٨٩ م، ثم خضعت صربيا للدولة العثمانيـة، وبعـد الحرب العالمية الأولى قررت دول الحلفاء المنتصـرة ضـم إقليم كوسوفو إلى صربيا مكافأة لهـا علـى حربهـا ضـد الأتراك، ثم حاولت صربيا تهجير سكان الإقليم مـن أصـل ألباني، وإحلالهم بصرب، ومع نهاية الحرب العالمية الثانيـة دخلت كوسوفو ضمن الاتحاد اليوغسلافي بقيادة تيتو، بـادة الثقافة الإسلامية فيها، ومع انهيار الشيوعية وتفكك يوغسلافيا استعاد أهل كوسوفو هويتهم الدينية والحضارية والسياسـية وأعلنوا استقلالهم عن صربيا وإقامـة جمهوريـة كوسـوفو المستقلة، وتدخل الجيش الصربي على الفور فأوقع العديد من المذابح في شعب كوسوفو، ولكن الوضع متجمد حاليـا فـي كوسوفو بانتظار ما يسـفر عنـه الصـراع فـي البوسـنة والهرسك، والجيش الصربي من جهته يعد العدة لإبادة شعب كوسوفو حيث أخذت القوات الصربية مواقعها على الروابي والتلال المحيطة باثنين وعشرين مدينة في كوسوفو واحتلت أسطح المباني والمنازل العالية التي تحكم الشوارع وتسـهل

عملية القنص، ويمكن أن نتوقع مصيرا أشد فظاعة ينتظـر كوسوفو، لأن صربيا تدعي ملكية كل أراضـي كوسـوفو، وأنها أراض مقدسة بالنسبة لها يجـب أن تظـل خاضـعة لنفوذها، وتتكون كوسوفو من سهلين "كوسـوفو" وسـنجق، وتغطي مساحة قدرها ١٠٨٨٧ كيلومترا مربعا، وقد دخـل أهلها في الإسلام، منذ سـبعة قـرون، والاسـم الصـحيح لكوسوفو هو "كوسمت" بمعنى "لؤلؤة" باللغة الألبانية.

وكان المسئولون الصربيون قد أخرجوا جثمـان الأميـر (لازار) آخر حكام دولة الصرب القديمة وطـافوا بـه كـل أرجاء المناطق في البوسنة والهرسك وكوسوفو، في محاولة للتذكير بأن الصرب كانت لهم دولة اندثرت بهزيمتها الساحقة على يد العثمانيين سنة ١٣٨٩، وأنه يجب الانتقـام وإعـادة أمجاد دولة الصرب، أي إيقاع مذبحة بالمسلمين في البوسنة والهرسك ثم في كوسوفو.

فهل نتفرج على المأساة، أم نفعل شيئًا من أجل مسـلمي البوسنة والهرسك وكوسوفو. بل من أجل أنفسنا؟!

* * * *